نزيه أبو عفش

وشاح من العشب للأمهات الحزينات

**« وفي نهاية الحروب تستحيل جماجم القتلى
الى حجارة ، والاجساد الى اشجار ومنازل
واشياء اخرى ! »**

تبدأ المعجزات
تستطيل الذراع التي تصنع الحب
ينقسم القلب نصفين عافية ..
وتضيق اللفات
والبلاد التي هرمت تستعيد نضارتها
. . . . . .
تبدأ المعجزات !
يتوافد حشد من الجند
حشد من الفتيات الغيورات
يبكين ..
ترتفع الاذرع العاشقات .. وترتفع القبعات
يتوافد حشد من النسوة الباكيات..
على رأسهن البلاد
تتجاسر فيها الشجون على الدمع
لكنما جذعها واقف
ويداها مفردتان ..
على كتفيها وشاح من العشب
مما يجيء به الجند من موتهم
وأنا العاشق الفذ
أشتم عن بعد عام روائح اتعابها
وافرق ما بين حلتها والربيع ...
اقوم اليها :
على أيما حجر ـ بشر اسند الان رأسي
على أيما جثة كبرت واستطالت
فاذا هي ، ما بين قنبلة وحريق ،
تصير الى منزل او جدار
ثم اسند رأسي
ويخلد قلبي الى الحب :
ايتها الشجرات ـ البلاد
الحجار ـ البلاد
الحقول الوثيرات ..
أي الحجارة رأس حبيبي
وأي الحشائش غرته ؟!
والحقول اتساع الى آخر الله !
أي الحجارة رأس حبيبي
وأي الحشائش غرته ؟!
(يخجل العاشقون ولا تخجل العبرات ...)

. . . . . .

ثم يمضي بي الحزن آونة
فالنوافذ ضوء يمد اصابعه الخيزران الى آخر البحر :

ايتها العتمات ـ البلاد
يعذبني فيك شوقي وليس يعذبني القتل

أيتها الطعنات ـ البلاد
يمزقني فيك خوفي وليس السكاكين

أيتها الهفوات ـ البلاد
تؤرقني فيك هذي الحصون الخليعة ..
والثكنات الوسيعة ..
والقبب الواطئات

ثم يمضي بي النوم
أدخل في قاعة من عظام النبيين والشعراء
أفاجأ بالقاتلين غفاة

جموع مؤلفة من لصوص يديرون اقداحهم

والبغايا يعشن على بيع حبر المصاحف
يرقدن ما بين دمع الاناجيل والزهر
والحاكمون غفاة
والموائد منشورة لا تحد :
النبيذ .. التوابيت .. رأسي
الطواويس قادمة من مطاعم باريس
في ريشها بعد ...
والجثث الساخنات
تتمدد ما بين افخاذهن
ويأخذني الذعر : يا ايها الحرس الطائف
أيها الجند .. هل هاجر الفقراء عن الارض ؟!
فاجأني التابع الملكي الوسيم ..
استدرت الى جسدي كي أغطيه
لم الق غير الثياب البذيئة حولي...
... واقبلت الساقيات !!

. . . . . .

ثم اني حزين .. حزين الى آخر السنوات
(هو الله من يصنع المعجزات ..)
ايا ايها الله : اي الحجارة رأس حبيبي
وأي النباتات غرته ؟!
لم يكن من يسمي الحجارة والعشب ،
سميت كل البلاد حبيبي .. وصليت
أحسست : انشال عن حجر ساخن
لم يصر حجرا بعد ..
قررت : ادعو البلاد الى قدح واجالسها
فاذا نحن مشتعلان هوى وعتابا
يلذ العناق الحزين وترتجل الاغنيات
واذا ... ينزل الله في جسدي فرحا لا يحد
واذا كل انملة فيّ تنهض فيها الحقول
العصافير .. يستيقظ الناس
تعلو البيوت وتتسع الشرفات
وتجيء الشعوب جميعا .. جميعا

ولا تقبل الامهات

. . . . . .

وعلى رقعة من بلادي تمددت
أطلقت حزني بشيرا وارسلتـه في البلاد ..
حلمت : انا الآن كل البلاد ..
بساتينها ، اهلها ، الخبز والملـح فيهـا
انا نبضها ..
تتجارى المياه على راحتي ويستوطن العشب أنحاء جسمي
فاذا سرتي ملتقاها مع البحر ...
والماء عافية .. ويحن على الضفتين النبات
والشوارع تبدأ او تنتهي في نوافـذ قلبي
ويعبرها الناس ...
لا تعبر العربات

ثم ينهمر الزهر
تنهض اغنية
تقتـدي بالنشيـد المعاول والقمـح والقبرات
وعلى مهل ... مهل ... مهل
ينزل العاشقون .. الطيور ، الجياع النسـاء الخجولات ..
ينزلن ، يغسلن اقدامهن المضيئة في المـاء
تسعى الطيور الحزينة في فرح
وتجيء الهداهد ... تسعى الارانب والنمـل
يحتشد النحل من كل نـاحية فـي الحقول
ولا تقبل الملكات
ثم يهبط من ثغرة في الهواء الفقيرون
يسـابق المتعبون .. اليفـايا ، العجائز ..
اهل القرى .. الجائعون ، العراة ، الحفاة ...
ثم تنتظر الامهات
وعلى غير ما تستطيع الحروب
وعلى غير ما يكتب الشعراء
تطوعت قدام شعبي دليلا الى الحزن
كانت تلوح المـدافن زرقاء منشورة
في العراء
والتوابيت تنهض آونة وتغيب
والجماجم ... آونة .. وتغيب
بشر في ثياب نبيين
جاؤوا الى خانة الموت تسعى البلاد بهم
ثم تسعى اليهم
أمم وقبائل لم تتضح بعد انسابهـا وطرائقها في الكلام
قرويون .. طائفة من ثياب الجنود
عصافير .. مذبوحة من دفـاترها المدرسية
مذبوحة من حروف الهجاء
لم تزل للطباشير فـوق مراويلها السود آثار حزن الطفولة
منذ فلسطين حتى الخيام
حناجرها ، بعد ، ملآنة ، بالنشيد .. وماتت
ذبحت من اناشيدها !!
قلـت : حي هو الله .. حـي هو الله ..
والفقر حي الى ابد الناس
ميلي اذن يا بلادي
تضيق المنازل فيك على الفقراء
تضيق المتاجر فيك ..
تضيق التقارير والتوصيات
غير ان المقابر منشورة .. والتوابيت تسعى الى ساكنيها
والشعوب الهزيلة تسعى الى وطن من عجين وارغفة
والدماء التي اندلقت في المجارير .. او عبئت في القوارير ... او عتقت
ما تزال تطوف على مهل في الهـواء وتذكر اصحابها
(والبلاد عجين وارغفة وطواويس محشوة .. وفتات)
ـ بعد .. لم يخلد الشهـداء الى الموت
كيف اذن يخلد الفقراء ..
كيف لم يحسب القاتلون القساة
ان ما بين نبض الفقير وواسطة القتل نملة
ان ما بين احزانه والرصاص ذراعا
ان جوع الفقير عظيم ..
واحزانه قدر قاتل وقضاء
كيف لم يحسب القاتلون القساة ؟؟
عظم الفقر في الناس فلينطق القاتلون القساة ..

. . . . . .

لست ابكي على احد
لست اضمر حزنـا على احد بعد
اني حزين من الله ..
ـ عفوا . الى اين تمضي العصافير في الليـل
أيـن تنـام العظـام ويلتجـىء الشهداء ؟
قلت :هل الجيء الفقراء !
لست أضمر حزنا على احد بعد
اني أبشر بالزهر ..!!
ـ في أي جرح من الارض يستوطن اللاجئون ؟
ـ سمعت بكاء !
ـ انا امه ..
وانـا امه ... وانـا امـه ... وانـا ...
ـ بعد لم يخلد الشهداء الى الموت
أيتها النسوة الباكيات الى الله
أيتها الكالحات الارامل .. والامهات الحزينات
ماذا تغيّر في الوطن الحرب
لولا يغير من جرحه الفقراء
مـا الذي تستطيع القنابـل والنـار والادوات المميتة طرا
واذا افتقر الفقراء
مـا الذي يفعل العاشقون اذا الناس جائعة ؟!
وتطلعت ...
كـانت الـى جـانبـي الساقيـات الفخورات
والغانيات الجسورات
كانت الى جانبي الكائنات الاناث جميعا
ولم تكن الامهات .

. . . . . .

والى ابد الحزن
ينتظر القائمون على الارض
من بشر وطيور واشياء اخرى
... ولا تحضر الامهات

دمشق